

# جنوب أفريقيا (\*)

أ. د. السر سيد أحمد العراقي

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(\*) دراسة منشورة في كتاب: تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم (الجزء الأول)

(أفريقيا)، (الطبعة الثانية) ( ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م). ص ص ١١٨ - ١٤٤ .

## الفصل الخامس

### جنوب أفريقيا

تقع جمهورية اتحاد جنوب أفريقيا في الطرف الجنوبي من قارة أفريقيا ، أو في أقصى الطرف الجنوبي من القارة الأفريقية ، وتحدها ناميبيا من الشمال الغربي ، وبتسوانا وزيمبابوي من الشمال ، وموزمبيق من الشمال الشرقي ، وباقي حدودها على المحيطين الهندي والأطلسي . وتبلغ مساحة جنوب أفريقيا ١٣٣١ر٠٠٠ كم<sup>٢</sup> ، وسكان الاتحاد في سنة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ٣٣٧٣٦ر٠٠٠ نسمة ، وتنقسم الجمهورية إلى أربع ولايات هي : الكاب ، وأورانج ، ونتال ، وترانسفال . ومن أهم المدن دربان ، وجوهانسبرج ، ومن المدن الهامة بورت اليزايبث . ولاتحاد جنوب أفريقيا عاصمتان ، التشريعية ، وهي مدينة الكيب ، وإدارية وهي بريتوريا<sup>(١)</sup> .

تشير الدلائل الأثرية ، إلى أن منطقة جنوب أفريقيا كانت مأهولة بالبشر منذ آلاف السنين ، وأن الإنسان الأول كان يسكن جنوب أفريقيا في الأزمنة الموعلة في القدم . وهناك اعتقاد أن البوشمن هم أقدم سكان جنوب أفريقيا ، ويعرف البوشمن في جنوب إفريقيا بأسماء متعددة ، فالأوروبيون يسمونهم البوشمن ، والأكزوسا يسمونهم **Twa** ، والسوثو **Satho** يسمونهم **روا** **Roa** والهوتنتوت يسمونهم سان<sup>(٢)</sup> **San** . ومهما يكن من أمر فإن الاسم الأكثر شيوعاً هو البوشمن وهو الاسم الذي أطلقه عليهم للمرة الأولى جماعات البوير **Boers** .<sup>(٣)</sup>

والبوشمن يمثلون جماعات قديمة وفدت على القارة من بابها الشرقي منذ عصور

(١) سيد عبدالمجيد بكر، المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٢) جديون س. وبر: تاريخ جنوب افريقية (ترجمة: د. عبدالرحمن عبداللله الشيخ) ص ١٦، دار المريخ للنشر،

١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، الرياض.

(٣) جديون، نفس المرجع، ص ١٦.

متقدمة انتهى بها المطاف تحت ضغط العناصر التي لحقت بها ، ويمارسون الصيد والزراعة . ورغم أن دماء بعضهم قد اختلطت بدماء غيرهم من البانتو والهوتنتوت بوجه خاص ، فلم يقتبسوا من ثقافة غيرهم . ويمتاز هذا العنصر بالقامة القصيرة والبشرة السمراء المشربة بالصفرة والأديم الذي يتجدد في سهولة ، والجهة البارزة<sup>(١)</sup> . وهم أقدم الأجناس الأصلية في أفريقيا ، وكانوا فيما سبق أكثرهم توزيعاً وانتشاراً في القارة ، أما وقد أثر عليهم أعداؤهم من البانتو والأوروبيين ، فقد أصبح وجودهم الآن مقصوراً على صحارى كلهاري وما جاورها ، وهم يعيشون على الصيد ، وجني الثمار من جذور أو نبات ، فلا هم يمارسون الزراعة ، ولا هم يمتلكون الماشية ، وهم شعب مرح يأخذ لنفسه بالرقص والغناء ، وأهم من ذلك أن لهذا الجنس إنتاجاً فنياً ، وهو ذلك اللون المعروف من الفن المسمى برسم الصخور **Rocks Painting** ، وهو يصور الناس والحيوان في حياتهم اليومية في رسوم أجروها على الحوائط الصخرية لكهوفهم ، فالألوان حية للغاية ، والصور نفسها ذات قيمة فنية عالية<sup>(٢)</sup> . واستقر البوشمن والهوتنتوت فيما يعرف حالياً باسم اتحاد جنوب أفريقيا ، وخاصة في منطقة الكيب وهضبة الفيلد . وقد تعرض البوشمن والهوتنتوت في القرن السابع عشر لضغط العناصر الهولندية التي استقرت في منطقة الكيب وتوغلت شمالاً . كما تعرضت هذه العناصر لضغط عناصر البانتو الزنجية التي جاءت من الشمال على طول الهضبة الوسطى والسواحل الشرقية<sup>(٣)</sup> .

أما العنصر الثاني ، فهم جماعة الهوتنتوت ، وهم مجموعة من الرعاة ، ويختلفون عن البوشمن قليلاً بصفاتهم الجسمانية ، فهم أقوى منهم بنية ، وأطول قامة ، وهم يمثلون جماعة قديمة قد لجأت إلى هذه المنطقة في أعقاب البوشمن . وكانت

(١) أنطوني سلري (ترجمة)، أفريقيا والجغرافيا الاجتماعية، ص ١٥. الناصوري، جمال الدين الدناصوري، جغرافية العالم (أفريقيا وأستراليا)، ج ٢، ص ١٠، القاهرة، ١٩٦٧م.

(٢) فؤاد محمد الصفار، دراسات في الجغرافيا البشرية، ص ٢٣٦، القاهرة، ١٩٦٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٣٦.

ديارهم تمتد من ولاية الكاب ، وفقدوا نظامهم القبلي بعد أن اتصلوا بالهولنديين ورجعوا إلى حياتهم التقليدية الشاقة ، بعد أن طردهم البانتو من المراعي الغنية إلى أطراف الصحراء حيث يقيمون في أكواخ بسيطة من القش وفروع الشجر ، ويربون البقر والأغنام ويمارس بعضهم الزراعة البدائية<sup>(١)</sup> .

البانتو ، هم العنصر الثالث الذي يسكن هذه المنطقة منذ زمن موغل في القدم . وكلمة بانتيو Bantu ، مصطلح لغوي محض ، ولكنه يستخدم في مجال وصف السلالات أو الأجناس البشرية ليدل على مجموعة زنجية كبيرة جداً ذات لغات تشترك في خصائص عامة لا يخطئها أحد ، وكلمة بانتيو معناها البشر أو بني الإنسان . والبانتو يمثلون الثلثين الجنوبيين من إفريقيا بأكملها ، وبغض النظر عن رباط اللغة الذي يجمعهم فهم يختلفون في الشكل ، وعلى الرغم من وجود ملامح معينة مشتركة بينهم، إلا أنهم يختلفون اختلافاً كبيراً في ثقافتهم من قبيلة إلى قبيلة ، ومن منطقة إلى أخرى<sup>(٢)</sup> . ومنهم الزولو Zolo المنظمين الحارين الأقوياء ، ويسكنون المناطق الساحلية لشرقي أفريقيا . وهذا النوع السلالي يكون مدعاة لإثارة مزيد من المشاكل في وجه الحكومات ، إذ أن كل مجموعة سلالية في تركيب بشري كهذا تكون أكثر وعياً وإدراكاً وتمسكاً بحقوقها مما لو كانت في مجتمع تسوده سلالة واحدة . ومجموعة البانتو الزنوج جماعات زراعية تكون أكبرها قبيلتي الكيكويو Kikuyu والباغندا . ولقد عاشت هذه المجموعات الزنجية تحت تهديد العناصر الحامية كقبيلة الماساي لفترة من الزمن ، مما أدى إلى انسحابها جنوباً<sup>(٣)</sup> . وقد اعتنقت قبائل البانتو الإسلام منذ وقت مبكر .

أما الأهمية الاقتصادية لهذه البلاد ، فيبدو أن الزراعة والصناعة هي عصب

(١) الدناصوري، المرجع السابق، ص ٧١.

(٢) انطوني سلري، المرجع السابق، ص ١٥.

(٣) نفس المرجع، ص ١٥ وما بعدها.

الحياة هناك ، كما أن الزراعة تفي باحتياجات الناس بمدهم بالحاصلات الضرورية .  
وتختلف الحياة النباتية اختلافاً كبيراً من جنوب خط الاستواء - عنها شمال هذا الخط .  
ففي جنوب القارة تزدهر الحياة النباتية بفضل الأمطار الصيفية التي تجلبها الرياح  
التجارية . وهناك أيضاً مناخ البحر الأبيض المتوسط ، كما نجد في ناتال غابات شبه  
استوائية في الجهات المنخفضة ، ثم تقل كثافة الغابات وتتحول إلى حشائش كلما  
ارتفعنا فوق سطح الهضبة . ويوجد الذهب بكثرة ، وبعضه مستخرج من مرتفعات  
أفريقيا الجنوبية . فقد استغل عرب الجنوب هذه المناجم ، حتى أن الأوربيين في عصر  
الاستعمار في القرن التاسع عشر ، حين اشتغلوا في استخراج الذهب من مرتفعات  
أفريقيا الجنوبية ( روديسيا ) ، اتضح لهم أن هذه المناجم قد استغلت أيام عظمة دولتي  
معين وسبأ ، وكانت هذه المناجم من أهم مصادر الذهب في العالم القديم زمن الأغرريق  
والرومان ، وهو الذهب الذي قال عنه سليمان أنه يأتي من أوفير ، وهي سوفالا التي  
سبقت الإشارة إليها ، والتي ارتادها العرب منذ فجر التاريخ .

لذلك لم تكن منطقة جنوب أفريقيا مجهولة لدى شعوب العالم الخارجي منذ أقدم  
العصور ، وقد كشفت البحوث التاريخية والأثرية عن وجود صلات قديمة ومستمرة  
بين هذه البلاد وشعوب العالم الأخرى ، ليس فقط الشعوب القريبة جغرافياً ، ولكن  
أيضاً الشعوب البعيدة مثل الهنود والصينيين .

أما العرب ، واتصافهم بهذه الجهات وسواحلها ، فالثابت أن ذلك الاتصال  
يرجع إلى عصر ما قبل الإسلام ، ولكن المعلومات عن هذه الفترة لا تكاد تذكر ،  
والراجح أنها كانت مقصورة على المبادلات التجارية . وقد سبق القول أن عرب  
الجنوب قد وصلوا إلى هذه المنطقة في العصور القديمة ، وقد عرفوا سوفالة الذهب في  
روديسيا ، وتبادلوا معها السلع المختلفة . وكان أهل اليمن يوهمون الناس أن جميع  
السلع التي يجلبونها سواء أكانت من الشرق أو من أفريقيا ، إنما هي من غلات بلادهم  
خوفاً من أن يتنبه المستهلكون أو المشترون عامة إلى مواطن بعضها ، فيعملون على

استيرادها من المنتجين مباشرة • ونجح العرب اليمينيون في كتمان هذا السر أجيالاً ، فبقيت التجارة وقفاً عليهم ، ونمت فيهم سليقة الاحتكار ، ومن لوازمها الشراء بأبخس الأثمان والبيع بأفحشها ، حتى إذا ضج المستهلكون فكروا في التخلص من هذا العنت ، كما فعل الأوروبيون حين بالغ سلاطين الممالك في فرض الضرائب الجمركية على تجارة المرور في القرن الخامس عشر ، مما كان من بين الأسباب التي أدت إلى كشف طريق رأس الرجاء الصالح إلى الهند وما وراءها •

أما بعد الإسلام فقد اتخذت هذه الصلات شكلاً آخر تمثل في هجرة جماعات من العرب والفرس إلى الساحل الأفريقي وتوطنها فيه • - وكما سبق القول - فإن هذه الجماعات كانت تأتي من سواحل شبه الجزيرة العربية مثل الإحساء والبحرين وعمان وحضر موت واليمن ، وكلها هجرات إسلامية ، نقلت معها صوراً من الحضارة الحديثة على أفريقيا ، وهي إنشاء المدن والمراكز التجارية التي كانت تمتد من خليج عدن إلى مدار الجدي ، أي في تلك المنطقة التي كان يطلق عليها جغرافيو العرب إسم " بر الزنج " (١) •

وقد ساعدت العوامل الجغرافية على نشاط حركة الملاحة بين منطقة الخليج العربي ، وبين سواحل أفريقيا الشرقية والجنوبية ، لأن الرياح التي تهب على منطقة المحيط الهندي تمكن

السفن الشراعية من القيام برحلتين في السنة بأقل مجهود • ففي فصل الخريف تدفعها الرياح في اتجاه جنوبي غربي ، فتخرج من خليج عمان إلى المحيط الهندي ، ثم تسير بمحاذاة الساحل الأفريقي الذي ينحني في اتجاه جنوبي غربي ، وفي فصل الربيع تدفعها الرياح الموسمية في اتجاه شمالي شرقي يمكن هذه السفن من العودة إلى قواعدها في شبه جزيرة العرب • ولا شك أن الهنود قد استفادوا أيضاً من تلك الرياح ، فاتصلوا هم أيضاً بأفريقيا الشرقية والجنوبية أو ساحل عزانيا Azania ( هو الساحل الممتد من

(١) العقاد، وزكريا قاسم، المرجع السابق، ص ٤ .

مقديشو شمالاً إلى روديسيا جنوباً ، ويطلق عليه اسم عزانيا أو أزانيا في العصور القديمة والوسطى ) ، ولكن نشاطهم ارتكز على الناحية التجارية البحتة . وقد انشغل المسلمون المهاجرون بنقل التجارة بين البلدان الواقعة على سواحل المحيط الهندي . وأهم السلع التي اعتمدت عليها هذه التجارة الذهب والعاج والعنبر . ويبدو أن المسلمين كانوا يحصلون على هذه السلع من رؤساء القبائل الأفريقية في نظير المنسوجات . ولا يعرف على وجه التحديد ما إذا كان العرب قد توغلوا في المناطق الداخلية لاستغلال مناجم الذهب بأنفسهم ، أم أن الأفريقيين كانوا يحملون الذهب إلى الساحل . والمعروف أن مناجم الذهب التي ما تزال موجودة في إقليم روديسيا ، تقع خلف القسم الجنوبي من الممتلكات العربية في أفريقيا ، ثم سيطرت عليه سلطنة كلوه الإسلامية ، وتوغلت إلى الداخل لنشر الإسلام وللأهداف التجارية، فكانت كميات هائلة من الذهب ترد إلى ميناء سوفالا حتى سماها ابن بطوطة سوفالة الذهب <sup>(١)</sup> .

لذلك يمكن القول ، أن العرب توغلوا في المناطق المعروفة اليوم باسم جنوب أفريقية ، منذ العصور الوسطى ، وربما تحركوا إليها من كلوة أو من ممبسة ومالندي ، أو من سوفالا التي تقع بالقرب منها . والراجح أنهم لم يسيطروا سلطتهم السياسية فعلاً في الداخل ، ولكن قوافل التجارة كانت تزدد بانتظام في قلب القارة ، حتى البحيرات الاستوائية منذ ذلك الوقت البعيد . وتدل الحفريات التي أجريت في منطقة مناجم مانيكه بروديسيا ، على أنه قد وجدت فيها حضارات أرقى من حضارة البانتو ، وتتسم هذه المخلفات بالطابع العربي الفارسي الذي ميز سلطنة الزنج الإسلامية . والواقع أن مجموعة قبائل البانتو - التي سبقت الإشارة إليها - والتي كانت تسيطر

<sup>(١)</sup> كتاب الطواف حول البحر الأريترى، أو كتاب المرشد الملاحى:

#### The Periplus of the Erythrean Sea:

المؤلف يوناني مجهول الإسم، ولكنه من سكان الاسكندرية في العهد الروماني، وسجل في كتابه ما شاهده في شرقي افريقيا التي سماها (أزاليا) وفيه وصف شامل لسواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي. انظر:

Schoff, E.H., Somalia, Travel and Trade (The Periplus of the Erythrean Sea, Hammer, Magadishu, 1912, p., 37.

على النصف الجنوبي من القارة الأفريقية ، قد اتصلت بالعرب منذ زمن مبكر ، كما أن عرب الساحل كانوا على اتصال دائم بهذه المجموعات القبلية بغرض التجارة ، ففسر الإسلام ، واعتنقته جماعات منهم منذ ذلك الحين . وقد سبقت الإشارة إلى أن سلاطين كلوه كانوا يرسلون الجيوش للجهاد في سبيل الله ، وأن السلطان أبو المواهب بذل جهوداً مفضية في سبيل نشر الإسلام ، وقد أشار ابن بطوطة إلى ذلك بقوله أن أهل كلوة في جهاد دائم<sup>(١)</sup> .

وقد أشارت المصادر إلى أن السلطان سليمان سلطان كلوه (١١٥٩ - ١١٧٨ م) ، جرد الحملات الحربية إلى الداخل ، وأخضع قبائل البحيرات العظمى ، كما توغلت قوافله التجارية تحرسها جنوده إلى داخل أراضي رواندا ، وأورندى ، ونياسالاند وروديسيا ، وفتحت أبواب التجارة في تلك الجهات ، حتى بلغت مناطق نياسا وتنجانيقا ، كما كان العرب على صلات وثيقة بالممالك الأفريقية الداخلية مثل مملكة مونوموتابا التي امتدت بين حوض الزمبيزي واللمبوبو ، وأنه وقعت حروب عدة بين الفريقين ، لأن ابن بطوطة ذكر أن أهل كلوه في حالة جهاد دائم . وكان العرب يطلقون اسم الكفار لوصف قبائل البانتو في الجنوب ، وما زالت إحدى مجموعات البانتو في اتحاد جنوب أفريقيا تعرف عند الأوربيين باسم **Les Cafres** كأثر من آثار تلك التسمية العربية<sup>(٢)</sup> . وكان هجرات العرب والفرس لهذه البلاد تأثير بعيد في تكوين أهل تلك البلاد من الناحيتين الثقافية والاجتماعية . والمعروف أن سوفالا (سفالة) أصبحت تحت سيطرة كلوه منذ أن دخلها علي بن حسن الشيرازي عام ٩٧٦ م ، وعين السلطان علي بن حسن ابنه حسناً حاكماً عليها ، وعلى جزر كومورو كذلك ، وظلت سفالة تحت سيطرة سلاطين كلوة حتى دخلها البرتغاليون في

(١) تحفة النظر، ص ١٩٣ .

(٢) العقاد وجمال زكريا قاسم، زنجبار، ص ١٠ . تحفة النظر، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

-Reusch, Op, Cit., 173. Dames, & Hekuyt, The Book of Durate Barbosea, Vol.3, p.6  
29.



القرن الخامس عشر، وبذل أمراؤها جهوداً كبيرة في نشر الإسلام<sup>(١)</sup> ومن المدهش أنه كان من نتائج حملات البرتغاليين الوحشية ، أن ازداد انتشار الإسلام في جنوب أفريقيا، ذلك لأن المسلمين تركوا الساحل ولجأوا إلى الداخل حيث نشروا الإسلام هناك .

لقد انتشر الإسلام بعد ذلك انتشاراً ملحوظاً في جنوب أفريقيا بعد منتصف القرن السابع عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر ، فإن هدوء الأحوال ، وفتح المناطق الداخلية ، مهدت العمل للتجار العرب ، وفتحت لهم أفقاً فسيحة ، كانت مغلقة من قبل . وفضلاً عن ذلك فقد استخدم رجال الإدارة البريطانيون والألمان ، المسلمين في الوظائف وفي أعمال الوكلاء والشرطة والجيش والأشراف على المدارس . والمعروف عن المعلمين السواحليين ، أنهم نشطوا في نشر الدعوة الإسلامية بين قبائل البانتو وغيرهم . ويمكن القول بوجه عام ، أن الإسلام سار سيراً حثيثاً في أعقاب مد الخطوط الحديدية وإنشاء الطرق التجارية ، وبذلك انتشر عبر تنجانيقا إلى المناطق الداخلية جنوباً وشمالاً . ففي القرن السابع عشر ، وصلت أولى طلائع المسلمين إلى جنوب أفريقيا في عام ١٦٥٢م من أرخبيل اندونيسيا في مقاطعة الكيب كعميد في شركة شرق الهند المعروفة بسمعتها السيئة للعمل في مزارع قصب السكر بمقاطعة ناتال ، كما قدم إلى المنطقة أيضاً مسلمون من زنجبار ، وذلك مع بداية العام ١٨٣٧م واستوطنوا في منطقة ديربان<sup>(٢)</sup> وقد ذكر الأستاذ سيد عبد المجيد بكر<sup>(٣)</sup> في هذا

(١) سفالة أو سوفالا Sofala اسم من اصل سامي، وجدت جذوره في العربية، والعبرية، والسورية، ومعناها في الأرض المنخفضة، أو أرض الساحل المنخفضة، ومن ثم فإن سفالة تعني تلك الأرض المنسقة السهول التي تحتل مكانها في ساحل موزمبيق، وهذا المكان موجود أيضا في الهند.

Reusch, p. 126 = Franz Babinger, Encyc. of Islam, art. Sofala, Vol., 4 (1), p, 469.

(٢) عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص ١٠٠: المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم، ص ١٣٠. عمر الصديق عبد الله، أضواء على أوضاع المسلمين واللغة العربية في جنوب أفريقيا: بحوث ومحاضرات المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٢ - ١٧ جمادى الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٣) الأقليات المسلمة في أفريقيا، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

الشأن ، أن الهولنديين عندما أخذوا يفرضون سيطرتهم على جزر اندونيسيا ، وشبه جزيرة الملايو ، وقام المسلمون في هذه المناطق الاحتلال الهولندي ، قبض الهولنديون على المناضلين ، ورحلوه إلى جنوب أفريقيا ، حيث وضعوا تحت سيطرة الشركة الهولندية التي كانت تحتل هذه المنطقة ، وهكذا شهدت ( سنة ١٦٥٢م ) قدوم جديد ومؤثر إلى مدينة الكاب ، وتلا ذلك قدوم مناضلين مسلمين جدداً في الأعوام التالية ، كان من بينهم الشيخ يوسف أحمد بن بتايا شقيق ملك جاوا ، وزعيم المقاومة ضد الاحتلال الهولندي لجزر الهند الشرقية ، فلقد جاء به الهولنديون بعد القبض عليه هو وتسعة وأربعين من المهاجرين المسلمين كسجناء إلى جنوب أفريقيا في سنة ١١٠٥ هـ . ثم نفي كثير من المسلمين الهنود إلى هذا السقع بعد نفي الشيخ يوسف . وقد كان هؤلاء المنفيون أساس الوجود الإسلامي الحالي بجنوب أفريقيا . وقد تزوج هؤلاء بالهولنديين والألمان والفرنسيين ، كما تزوج العرب والفرس من قبل بالبانتو وغيرهم<sup>(١)</sup> .

وفي حوالي عام ١٨٦٠م ، وبضغط من المسلمين أنفسهم ، طلبت الملكة فيكتوريا من الحكومة التركية أن تبعث أحد المعلمين المسلمين ليقوم بتعليم المسلمين أمور دينهم . ولم يكن هذا بالطبع رغبة من الملكة فيكتوريا في نشر الإسلام بتلك البقاع ، ولكن كان ذلك عبارة عن استجابة لضغط المسلمين أنفسهم ، لما يعني الرغبة الصادقة والملحة التي كانت تستبد وتدفع بهم دفعاً تجاه هذه المسألة المتعلقة بضرورة استيعاب تعاليم دينهم الخفيف التي أصبحوا يجهلونها جهلاً تاماً<sup>(٢)</sup> .

(١) عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ١٠٣.

(٢) زنجبار ، ص ١٢ :

هذا وقد استجابت الحكومة التركية لهذا الطلب ، وأرسلت معلماً مسلماً وهو الشيخ أبو بكر أفندي الذي وصل إلى مدينة الكاب لتنفيذ تلك المهمة، فبدأ المسلمون على أثر ذلك في إرسال أبنائهم لهذا الشيخ ليقوم بتعليمهم مبادئ الإسلام واللغة العربية . وبهذا تمثلت أول نواة للتعليم الإسلامي بجنوب أفريقيا ، وقد تطورت هذه النواة التعليمية الأولى إلى نواة أخرى تمثلت في أن المسلمين لجأوا إلى إرسال أبنائهم إلى البلدان الإسلامية الأخرى لكي ينهلوا من المعارف الإسلامية ثم يعودوا إلى أهلهم معلمين ووعاظاً ودعاة . ثم تطورت الأحوال التعليمية بعد ذلك بجنوب أفريقيا ، حيث قام المجلس الشوري الإسلامي بجنوب أفريقيا ، بإنشاء كلية لأصول الدين برأس الرجاء الصالح . هدفها الأساسي تخريج المعلم الكفوء الذي يساهم حتماً في ترقية وتطوير التعليم الإسلامي<sup>(١)</sup> .

وفي القرن التاسع عشر استقدم البريطانيون العمال من شبه القارة الهندية الباكستانية ، وذلك بعد أن خلفوا الهولنديين في احتلال جنوب أفريقيا ، وقام هؤلاء العمال بزراعة قصب السكر، وحاصلات المناطق المدارية في منطقة ناتال الساحلية . وكان بين العمال عدد كبير من المسلمين ، وهكذا ازداد عدد المسلمين في جنوب أفريقيا ، وبعد استقرار الجالية المسلمة بالبلاد قام المسلمون بنشر الدعوة الإسلامية بين الجماعات المستضعفة ، والتي تعاني من التفرقة العنصرية، وأخذ أنصار الإسلام يتزايدون ، ثم أخذ الإسلام ينتشر بين المواطنين الأفارقة ، فاتجهت الدعوة نحو معازل البانتو ، فهناك مركز إسلامي في معزل ( Uape ) ، وهناك مشروع لتأسيس مركز إسلامي في معزل (Sowelo) الخاص بالمواطنين الأفارقة قرب مدينة جوهانسبرج . هكذا غزا الإسلام أقوى قلاع التفرقة العنصرية<sup>(٢)</sup> التي انتهت اليوم بقيام حكومة الأغلبية .

(١) عمر الصديق. أضواء على أوضاع المسلمين واللغة العربية في جنوب أفريقيا.

(٢) سيد عبدالمجيد بكر، المرجع السابق، ص ٢٠٠.

هذا وقد مثلت مدينة رأس الرجاء الصالح الثقل التاريخي للمسلمين ، فمنذ النواة الأولى للمسلمين بها ، لم يزل عددهم يزداد يوماً بعد يوم ، إلى أن بلغوا مبلغاً عظيماً ، فقد يقرب عددهم اليوم من المليون مسلم ، وأنشأوا من المساجد عدداً يتراوح ما بين الـ ٦٠ إلى الـ ٧٠ مسجداً بمدينة الكاب وحدها<sup>(١)</sup> .

إلا أن الدولة العنصرية ، قبل قيام حكومة الأغلبية برئاسة نيلسون مانديلا ، عملت بشتى الوسائل والسبل ، على محاربة التجمع الإسلامي الكبير بمدينة الكاب ، وضيق عليهم الخناق ، أيما تضيق ، ثم اضطرتهم إلى الهجرة إلى أماكن أخرى أحياناً ، أو نفتهم إلى أماكن أخرى بعيداً عن مدينتهم التي نشأوا بها ، وترعرعوا فيها - وألقت بهم في مناطق نائية ساءت فيها أحوالهم المادية والاقتصادية، ورغم ذلك تمكنوا في منفاهم من تشييد المساجد ودور العبادة ، ليؤدوا فيها صلاتهم ، ويعلموا فيها أبنائهم أصول الدين واللغة العربية<sup>(٢)</sup> .

### حال المسلمين بجنوب أفريقيا :

تبلغ نسبة المسلمين بجنوب أفريقيا حوالي المليون مسلم من تعداد السكان البالغ ٢٥ مليون نسمة تقريباً . وهذه النسبة الضئيلة للمسلمين بجنوب أفريقيا أدت إلى انعدام الوزن السياسي للمسلمين، وبالتالي أدت إلى انعدام القدرة على متابعة مجريات الأحداث السياسية ، فضلاً عن كل ذلك يجدون من عنت السلطة ما يجدون ، إذ أن النظام في جنوب أفريقيا يقوم على أساس الفصل العنصري ، في ما يعني أن البيض وحدهم هم الذين كانوا يسيطرون على كلية الأحداث السياسية ويصنعونها دون غيرهم ، وهم الذين يسيطرون على جلية الأحداث السياسية ويتمتعون بكل شيء دون غيرهم من بقية الأجناس بما في ذلك الملونين الذين نص الدستور مؤخراً

(١) عبدالرحمن زكي، المسلمون في العالم اليوم، ص ٧١.

(٢) مجلة منبر الاسلام، عدد ربيع الأول، سنة ١٤٠٥هـ مقال تحت عنوان: الدعوة إلى الإسلام في افريقيا وأزمة التبشير، د. عبدالله بنحيت محمد.

على إعطائهم بعض الحقوق ولكن بالطبع كانت تلك الحقوق دون حقوق البيض  
بكثير<sup>(١)</sup> .

وقد حاول البيض فرض سيطرتهم التامة ، ولعله من المؤسف أن المسلمين  
كانوا لا يتمتعون بحق التصويت في الانتخابات العامة ، والذي من المفترض أن يكون  
حقاً مشاعاً لكل مواطن ، ولكن العنصرية لا تعرف معنى الحق . إذ أنها تصنف الناس  
إلى درجتين لا غير : درجة سامية وهي الدرجة المقدسة المتمثلة في البيض ، ودرجة  
منحطة يمثلها سواهم من الناس .

وقد حاول البيض فرض سيطرتهم التامة على الأقلية المسلمة ، إذ وفرت  
الفرص للإرساليات المسيحية لكي تعمل جاهدة من أجل تنصير المسلمين ، ولكن دون  
جدوى تذكر في هذا الخصوص .

يعتمد المسلمون في دراستهم على الظهيرة ، إذ يدرسون في الفترة الصباحية في  
مدارس الحكومة العلمانية<sup>(٢)</sup> .

يبلغ عدد المدارس الابتدائية الإسلامية بمدينة الكاب زهاء الـ ٤٠ مدرسة ،  
وأيضاً توجد ٤ معاهد مسائية للكبار والشباب ، وتستأنف دراستها بالمساء . ولكن  
من كبريات المشاكل التي يعاني منها التعليم بجنوب أفريقيا وجود المعلم المؤهل الذي  
يمكن أن يوصل المادة الإسلامية الصحيحة لتلاميذه ، وفي الآونة الأخيرة لجأت  
الحكومة العنصرية إلى فتح قسم للغة العربية بجامعة ( درين ) ولكنها لم تنشئ هذا  
القسم رغبة منها في تعليم اللغة العربية ، بل مصانعة منها للأنظمة العربية ، بغية  
استقطاب دعمها لهذا القسم<sup>(٣)</sup> .

(١) حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص ٣٨. عبدالرحمن زكي، المسلمون في العالم اليوم،  
ص ٧٥ وما بعدها.

(٢) أحمد سويلم العمري، الأفريقيون والعرب، ص ٧٩ - ٨٠ ن/ أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار  
السياسي والاجتماعي والثقافي، ص ١٤٥.

## الدعوة بجنوب أفريقيا :

الدعوة إلى الإسلام بجنوب أفريقيا تقتضي أن تقسم نشأتها إلى قسمين :

القسم الأول : تناقش فيه معالم الدعوة ونعني بها المواعين التي تنصب فيها الدعوة، أو التي تناقش فيها معالم الدعوة ، أو التي بإمكانها أن تساهم في الدعوة للإسلام .

## معالم الدعوة :

من أبرز معالم الدعوة نشوء ما لا يقل عن ٣٠٠٠ مسجد بجميع نواحي جنوب أفريقيا . وقد سبق أن ذكرنا المعاناة التي يجدها المسلمون من بناء المساجد ، ولكن مع ذلك فإنها تزداد يوماً بعد يوم<sup>(١)</sup> . ومن معالم الدعوة أيضاً أنها توجد زهاء ٣٠٠٠ مدرسة إسلامية في ضواحي جنوب أفريقيا . وقد ذكر ذلك الأستاذ أحمد زيدان في لقاء له مع هيئة تحرير مجلة الأمة القطرية ، وقد جاء أيضاً ذكر لبعض معالم الدعوة في نشرة أصدرتها الندوة العالمية للشباب الإسلامي باللغة الإنجليزية بعنوان :

**Some Musli,s and the DD, Wah- In S-A,**

**Mileslones in the Da,Wah Salama Educational Institute**

السلامة للتربية الذي يقوم بمهمة تأهيل المعلمين والذي تتولى الإشراف على التدريس فيها ، مجموعة من العلماء والذي تكون مدة الدراسة فيها عامان دراسيان ، يدرس الطالب خلالها مجموعة مكثفة من الدراسات الإسلامية .

<sup>(١)</sup> المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم، ص ١٣٠.

أ - مؤتمر الدعوة القومي : وهو مؤتمر قومي يناقش شئون الدعوة بجنوب أفريقيا . فهذه المعالم الدعوية سابقة الذكر مجهود متواضع من المسلمين بغرض تركيز الدعوة .

## ب - أنشطة الدعوة :

اتسم تاريخ النشاط الدعوي في جنوب أفريقيا في الفترة التي تسبق بداية السبعينات ، اتسم نشاط الدعوة قبل الفترة آنفة الذكر ، بالجمود الشديد ، إذ كان شأن الدعوة عند المسلمين أن يحافظوا فقط على دينهم ، دون أن يؤثروا في الآخرين . وفي الفترة الأخيرة بالذات أي منذ عام ١٩٧١م - ١٩٧٢م تغير الشأن إذ ظهرت جماعة من الشباب المسلم والنشط الذي أخذ يولي الدعوة اهتماماً كبيراً ، وتسمى هذه الجماعة المهمة بأمر الدعوة ، باسم حركة الشباب المسلم : **Muslim Youth Movement In S.A** والتي تسمى اختصاراً "M.Y.M" هذه الجماعة الشبابية المسلمة نشطت الدعوة بطريقة لم يسبق لها مثيل ، لذا يلزم أن تخصص لها الحيز التالي للحديث عنها باعتبارها الجماعة الوحيدة التي تتولى أمر الدعوة في جنوب أفريقيا<sup>(١)</sup>.

## تأسيس الجماعة :

تأسست هذه الجماعة في مدينة دربان في اجتماع عقد يوم ١٦/١٢/١٩٧٠م ثم بدأت من بعد ذلك بمحاضرات تعريفية بها ، واشتد نشاطها بعد مؤتمر الأسرة الأول الذي عقد في عام ١٩٧٢م ، ثم أنشأ لها بعد ذلك فرعاً بمدينة ترنسفال ، وفروع أخرى في كل من جاتسوت ومدينة بريتوريا ، وذلك في عامي ( ١٩٧٣م - ١٩٧٤م ) ، ثم تكون بعد ذلك فرع للنساء ، وقد تأسست هذه الجماعة على عقيدة الإسلام ، كما جاء في الكتاب والسنة .

(١) عبدالرحمن زكي، المسلمون في العالم اليوم، القسم (٢)، أفريقيا الإسلامية، ص ٦٧.

## هدف التأسيس :

وقد هدفت هذه الجماعة من تأسيسها إلى الوصول إلى أسلمة جميع أوجه الحياة : الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وغيرها •

## الأهداف الجانبية :

- (١) صقل الشخص المسلم العامل في مجال الحركة بحيث يصبح شخصية إسلامية متكاملة •
- (٢) إبراز وترقية نظام القيم الإسلامية في أوساط الأمة •
- (٣) نشر الإسلام في القطاعات غير الإسلامية •

## الوسائل :

- (١) نظام الدراسة الفردية •
- (٢) نظام الدراسة الجماعية •
- (٣) تنظيم ودعم برامج الجماعة •
- (٤) تبني مبدأ الاستخدام والمشاركة والتدريس •

## مبادئ الحركة :

شعارنا كل المؤمنين أخوة ، قائدنا النبي صلى الله عليه وسلم ، دليلنا القرآن الكريم ، مثلنا توحيد وتنشيط الأمة الإسلامية لتكون خيراً وبركة • سياستنا الصداقة مع الجميع ولا مساومة على المبادئ •

## العضوية :

يجو لكل مسلم أن يلتحق بعضوية هذه الجماعة ولكن النظام فيها يبدأ



بالتدرج التالي :

الخطوة الأولى : الالتحاق بإحدى حلقات الحركة وتسمى هذه المرحلة

بمرحلة الصديق •

الخطوة الثانية : ثم يرتقي العضو إلى مرتبة النصير •

الخطوة الثالثة : ثم يرتقي بعد ذلك ليكون عضواً عاملاً ، وبعد ذلك

يحاسب على أعماله جميعاً، الخاصة والعامة ، وتمنح عضوية الشرف لكل من قام  
بخدمات جليلة للإسلام •

### نكسات الحركة :

تعرضت هذه الجماعة إلى بعض النكسات منها : عجز الاتصال بالفروع أدى  
إلى الشكوك في بعض الدوائر ، ومنهال نزوع بعض الأشخاص دون النضج للتحديث  
باسم الحركة ، ثم ظهرت بعض الخلافات الشخصية ، هذا فضلاً عن أن بعض الناس  
أساءوا فهم مواقف الحركة، ولكن الحركة استطاعت أن تتغلب على هذه المشكلات  
وتتسع دائرتها إلى الدول الأفريقية المجاورة<sup>(١)</sup> •

### أهم أنشطة الجماعة ومنجزاتها :

- (١) إنشاء صندوق الزكاة الذي يتولى جمع الزكاة وتوزيعها •
- (٢) إقامة عدد كبير من المؤتمرات والمعسكرات التأهيلية والتربوية من أجل  
الارتقاء بشأن الدعوة •
- (٣) تقوم الجماعة بإصدار جريدة تسمى جريدة القلم •

<sup>(١)</sup> حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص ١٨٥ - ١٨٧.

أحمد سويلم العمري، المرجع السابق ص ٦٦.

- (٤) إنشاء معهد السلام للدعاة والذي أشرنا إليه في حيز سابق •  
 (٥) إصدار مجموعات من الكتاب الإسلامي •  
 (٦) إنشاء لجنة طبية تقوم بمهام علاجية واسعة •  
 (٧) قيامهم بمشاريع استثمارية دعماً لخزينتهم •  
 (٨) قيامهم بإحصائيات دورية للمسلمين ، وكشف مناطق الضعف والقوة في مجتمعهم

- (٩) تصدر الجماعة مطبوعات دورية •  
 (١٠) إنشاء كتيب الثقافة الذي يقوم بمهمة الرد على أعداء الدعوة والحركات المضادة •  
 (١١) إنشاء مركزاً إسلامياً •  
 (١٢) المكتبات للجماعة : عدة مكتبات غرضها الرئيسي توفير المراجع اللازمة للمسلمين •

وقد اجتهدت هذه الجماعة في شأن الدعوة، ولكن ركز نشاطها بصفة خاصة على السود، وكان السبب في ذلك هو نظام الطبقات الذي يباعد ما بين المسلمين ومجتمع البيض<sup>(١)</sup> •

ما نسبة المسلمين في جنوب أفريقيا وما هي المشكلات التي

يواجهونها ؟

إن المسلمين في جنوب أفريقيا لا وزن لهم سياسياً ، ولا يتمتعون بحقوق المواطنة مثل الفئة الحاكمة من البيض ، ويبلغ عددهم اليوم قرابة المليون مسلم ، وهم غير مسموح لهم بالتصويت، إلا أن حالتهم الاقتصادية جيدة جداً ، يمثلون أقل من ٧٪ من مجموع السكان أما المشاكل والتحديات فإنها كثيرة • لما جاء الاستعمار بعدد كبير من المسلمين من أندونيسيا وماليزيا إلى هذا البلد كآسرى وعبيد ، ضغط عليهم

(١) عبدالمنعم يوسف عبدالحفيظ، الأقليات المسلمة في جنوب أفريقيا، الخرطوم، ١٩٨٧، ص ٥٠.

ليتركوا دينهم ، وطيلة ثلاثمائة سنة والإرساليات التبشيرية ، تعمل عملها بينهم على قدم وساق ، ويقرع أفرادها على المسلمين بيوتهم ويوزعون لهم الكتب والنشرات النصرانية<sup>(١)</sup> ، وهذه أخطر مهمة تقوم بها الإرساليات في معظم أنحاء العالم . والبيض في هذا البلد أغنياء ، ولكنهم مع ذلك يتلقون فيضاً من المساعدات من الخارج (من فرنسا - ألمانيا - أمريكا) وغيرها، لتقوية الإرساليات التبشيرية ، لذا فمن المستحيل أن تقوم القلة القليلة من المسلمين في جنوب أفريقيا بأعباء إبلاغ الدعوة الإسلامية إلى ٩٨٪ من سكان هذا البلد ، ولا يجوز أن تترك لهم هذه المهمة الجليلة دون مساعدة من الخارج .

والمشكلة الثانية هي : عدم إجادة اللغة العربية ، فالمسلمون هنا يرغبون في تعلم اللغة العربية لأنها لغة الإسلام ، ويجب على كل مسلم أن يتقنها ، إلا أنهم لم يتلقوا عدداً كافياً من معلمي اللغة العربية ، وهناك في جنوب أفريقيا حركة لتعليم اللغة العربية من قبل الحكومة إذا ما وجد عدد مناسب أي حوالي ٢٠ طالباً في المدارس الثانوية ، فإن الحكومة تهتم بتدريس العربية لهم على حسابها ، وكذلك تم فتح قسم للغة العربية في جامعة درين ، وهذا القسم يقوم بتدريب المعلمين ، وهذه البادرة من الحكومة ليست إسلامية ، بل تريد من ورائها تحقيق منافعها الذاتية حتى تتصل بالعرب ، وتتمكن من تحقيق الكثير من المصالح الاقتصادية وغيرها<sup>(٢)</sup> .

### النشاطات الإسلامية في جنوب أفريقيا ومراكز التعليم فيها :

إن النشاطات الإسلامية إجتماعياً وثقافياً وتربوياً متعددة ، وقد قام المسلمون منذ ثلاثة قرون بنشاطات إسلامية جليلة فقد أسسوا أكثر من ثلاثمائة مسجد ، وثلاثمائة مدرسة إسلامية وعدداً من المؤسسات الإسلامية . أما النشاطات الإسلامية فتمثل في إلقاء المحاضرات ، وطباعة النشرات ، وعقد الندوات ، ومن المراكز

(١) أحمد نجم الدين، أفريقيا - دراسة عامة وإقليمية، ص ٤٣ .

(٢) سيد عبدالمجيد بكر، المرجع السابق، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

والمؤسسات الإسلامية " جمعية المسلمين البيض " ، و "المجلس الإسلامي " ، و " المحكمة الشرعية الإسلامية " ، و " المعهد الإسلامي الشرقي " ، و "دائرة الدراسات العربية " ، و " حركة الشباب المسلمين " ، و " مركز الدراسات الإسلامية " .

أما جمعية المسلمين البيض فهي أول جمعية تأسست عام ١٩٧٦م في جوهانسبرغ ، وفي نفس الوقت تم إنشاء مدرسة داخل المسجد . أما المجلس الإسلامي ومقره الرئيسي في دربن ، فيأخذ على عاتقه دعوة العلماء والفقهاء لزيارة جنوب أفريقيا ، وتقوم بمراسلة العالم الإسلامي والجامعات الإسلامية .

أما المحكمة الشرعية في الكاب فتقوم بإنجاز قضايا الزواج والطلاق والتَرَكات ، أما المعهد الإسلامي فهو أقدم معهد تعليمي في دربن . أما حركة الشباب المسلمين فقد تأسست في دربن عام ١٩٧٠م .

وانتشار الإسلام في جنوب أفريقيا خير بديل لما فيه أمل البلد ، فقد عقدت قوانين التفرقة العنصرية كل أمور الحياة على أكثرية سكان هذا البلد ، وحفنة من البيض المستعمرين تقود الكثرة ، وتحرمهم من حقوق الإنسان . وفي هذا الوضع المتأزم يمكن للمسلمين القيام بدور بناء من شأنه أن يساعد على تحقيق الحرية والعدالة والسلام في هذا البلد<sup>(١)</sup> .

### من وسائل نشر الإسلام :

(١)لقاء المحاضرات وعقد الندوات ، وهذا يتم حسب الضرورة والمناسبات .

(٢) طبع الكتب والمنشورات للرد على إرساليات التبشير ودعاياتهم المضللة . وقد قام المسلمون بطباعة أكثر من مائة ألف نسخة من كتاب " ماذا

<sup>(١)</sup> حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ص ١٨٦. سيد عبدالرحمن زكي، المسلمون في العالم اليوم، ص ١٢٤.

يقول الإنجيل عن محمد صلى الله عليه وسلم " .

ويمكن تعميم الدعوة في جنوب أفريقيا ، لكن هذا يحتاج إلى جهد الرجال وإعدادهم ، وفي فترة قصيرة جداً . ولكن الذي يحول دون ذلك هو عدم توفر المال الكافي .

أما بالنسبة لوسائل نشر الإسلام وخاصة الراديو والتلفاز ، فإنه لا يمكن أن يستخدمها المسلمون للدعوة الإسلامية فكل وسائل الإعلام تحت سيطرة الحكومة وما يجري في التلفاز عبارة عن مقابلة مع المسلمين الهنود وغيرهم ، ولكن المسلمين لهم الحرية التامة في الدعوة إلى الإسلام ، والحكومة لا تسمح للمسلمين في البلدان أن يبرزوا سياسياً واقتصادياً واجتماعياً . ومنذ عام ١٦٨٥م صدر قانون يحظر زواج البيض مع غير البيض ، وقانون آخر حدد الوظائف ، وقانون جواز السفر والتجارة والتصويت ، كل هذه القوانين تقوم على التفرقة العنصرية . وهناك وسائل أخرى لنشر الإسلام عبر مجلة المسلم " دابجست " ، ومجلة " القلم : في درين ، وغيرها . ويحتاج المسلمون في هذا المجال إلى طبع نشرات وكتب مهمة ، وهذا يحتاج إلى مساعدة مالية من المسلمين ، وهذا يتم بتضافر الجهود<sup>(١)</sup> .

بجانب هذا العمل المحدود من المسلمين ، ومقارنة بما تقوم به الإرساليات التبشيرية ، والعمل الضخم الذي تضطلع به المؤسسات النصرانية المسيحية ، لا بد من أن نشير إشارة بسيطة، حتى تتضح الرؤيا ، وحتى يتضح الخطر الذي يقيق بالمسلمين في تلك البقاع ، وهو توضيح أهم الأعمال التبشيرية ومراكزها ومؤسساتها ووسائلها المتبعة في جنوب أفريقيا :-

إن أعمال الإرساليات التبشيرية تجري على قدم وساق ، وبكل الوسائل

(١) عمر الصديق عبد الله، المرجع السابق، ص ٨.

المتوفرة لديها، ففي مجال النشرات والكتب فإنها تقوم بطبع الكثير منها وبأعداد ضخمة بالملايين ، وتوزعها مجاناً وعلى سبيل المثال " فئة من فئات التبشير طبعت ٤٨ ٨٠ ٠٠٠ ٠٠٠ نسخة من كتاب واحد في خمس وتسعين لغة من لغات العالم ، وهذا الكتاب يحتوي على مائتي صفحة ، كل فرد يستطيع أن يجد هذا الكتاب بلغة ، وهذه فئة صغيرة تستطيع أن تقوم بهذا العمل الكبير لكتاب واحد فمابالك ببقية كتبها .

وفي عام ١٩٧٥ م ، تم توزيع أكثر من مليون نسخة من الإنجيل ، وقاموا بثمانية ترجمات للإنجيل ، من هنا نستطيع أن نعرف مدى تأثير الإرساليات التبشيرية في جنوب أفريقيا ، حيث زودت كل فرد من أفراد هذا البلد بالإنجيل وإذا استطاع المسلمون العمل بالمثل ، فهم يحتاجون إلى ترجمة معاني القرآن الكريم وكتب السنة إلى تلك اللغات .

أما مراكز التبشير ، فهي تنتشر في كل البلد ، وهناك أكثر من ألف طائفة وفرقة من البيض ، وأكثر من ٣ آلاف من السود ، ونجحت الإرساليات إلى توصيل كتبها لهم ، وترجمت لهم الإنجيل . وإذا أردنا أن ننقله مما هو فيه من عقيدة باطلية، فنحتاج إلى إيصال معاني القرآن المترجمة والنشرات الإسلامية إليه ، وحق المسلمين مهضوم في هذا البلد ، فمثلاً إذا بنى المسلمون مسجداً وحوله مساكنهم تأتي الحكومة بعد عشرات السنين وتقول أن هذا المكان مخصص للجمالية البيضاء ، وعلى المسلمين أن يرحلوا مقابل تعويضات بسيطة ، ولكن المسجد لا يمكن أن يحوه ، وقررت الحكومة إعطاء فترة راحة لكي يؤدي فيها المسلم صلاته ، والمساجد في أحياء البيض لا تمس ، وبهاجر إليها المسلمون لتأدية صلاتهم<sup>(١)</sup> .

(١) عبدالنعم عبدالحفيظ، المصدر السابق، ص ٥٤.

## أهم التحديات التي تواجه المسلمين في جنوب أفريقيا :

هناك تحديات من قبل النصارى وهي أنهم يقرعون على المسلمين بيوتهم ، فيعتقد كل من السود والبيض أنهم سوف يدخلون الجنة ، وأن غيرهم حطب جهنم ، ولذلك يريد كل واحد منهم أن ينجي المسلمين مما هم فيه ، فيأتوا إليهم ويعرضوا لهم دينهم في البيوت ومحلات العمل ، ويقوموا بتوزيع النشرات ، وبهذا العمل استطاعت طوائفهم أن تخدع المسلمين البسطاء الذين لا يعرفون كثيراً عن دينهم ، وطبعوا مثلاً كتاب " القرآن يقول " فالمسلم غير الواعي يأخذ الكتاب بكل احترام وثقة ويعظمه ويضعه إلى جانب المصحف ، وكذلك يطبعون الكتب ويزينونها بالآيات مثل " إن الله يشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم " . وبهذه الطريقة أوصلوا كتبهم إلى المسلمين . وكذلك كتاب سلطان محمد يقول " لماذا تنصرت ؟ " وهذا الكتاب يجد فيه المسلم آيات قرآنية مبعثرة تشوش عليه تفكيره .

ورغم جهود النصارى الجبارة وحيلهم ، إلا أنهم لم يستطيعوا أن ينصروا ٣٠٠ مسلم ، بل قام المسلمون ببناء ٣٠٠ مسجد ومدرسة إسلامية ، رغم كل التحديات والمعوقات . وفي حوالي ٣٠٠ سنة لم يستطيعوا تنصير عدد كبير من المسلمين .<sup>(١)</sup>

وهنا يجي دور العالم الإسلامي ، فهؤلاء المسلمين بحاجة إلى مساعدة ثقافية وتعليمية ، وتزويدهم بالعلماء والفقهاء والدعاة وبكل وسائل نشر الإسلام ، ونظراً للعدد الهائل من النصارى لا بد أن يتناسب عدد الدعاة المسلمين ؛ والمسلمين بحاجة إلى تعلم اللغة العربية ، ويحتاج المسلمون إلى معلمين للغة العربية حتى يفهموا الإسلام . وعلى كل مسلم أن يقوم بنشر هذا الإسلام . وهذا لا يمكن أن يتبع نفس الوسائل التي يتبعها المشرون والنصارى .<sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> عبدالمع عبدالحفيظ، المرجع السابق، ص ٥٧.

<sup>(٢)</sup>

يعرف المسلمون في جنوب أفريقيا بالملويين ، ( نسبة إلى الملايو ) الذي جلبهم في الأصل المستعمرون الهولنديون لاستغلال نشاطهم حينما وطأت أقدامهم البلاد ، وكانوا في بادئ الأمر من الملايو وجزائر الهند الشرقية ، واليوم اصبح جميع المسلمين الذين يؤلفون جالية كبيرة في جنوب أفريقيا بهذا الاسم ، مع أنهم من شعوب كثيرة وفدوا من شبه الجزيرة العربية وسيلان والهند وبلاد الملايو أيضاً .

فكان أكثر الذين قد أتى بهم الهولنديون إلى جنوب أفريقيا من المنفيين السياسيين الذين قاوموا الاستعمار الهولندي في جاكارتا ( بتافيا سابقاً ) ، وكان بعضهم من سادة البلاد .

وليس من اليسير معرفة عدد المسلمين في تلك البلاد ، لأن الإحصائيات الرسمية تصنفهم تحت عنوان " الشعوب الآسيوية الملونة " ، ويقدر عددهم حوالي ٧٩ ألفاً يضاف إليهم تسعة آلاف في بتسوانالاند . ويمكن تقسيمهم من ناحية اللغات التي يتكلمون بها إلى المجموعات الآتية :

المجموعة الأولى : والتي تتكون من العنصر الملوي ، والتي ساهمت في استيطان البلاد مع الهولنديين الأوائل . تتكلم اللغة الأفريكانية ( الهولندية - الألمانية ) وتخلت تدريجياً عن لغتها الأصلية وقد اتبعت الأساليب الأوربية في المعيشة ، وقد احتفظت ببعض أغانيها الفولكلورية ، وما زالت هناك بعض الألفاظ الملوية التي يستخدمونها أحياناً في ألفاظ المحادثة . أما اللغة العربية فهي قاصرة على المسجد أي في مستلزمات الدين الحنيف ، وهي تعلم في بعض المدارس الابتدائية بمعرفة المدرسين الخصوصيين .

ولا تتعدى اللغة العربية في الوقت الحاضر هذا النطاق المحدود ، والمسلمون حريصون على تأدية فريضة الحج كل عام ، وتزدحم بهم ميناء مدينة الراس " الكاب " في موسم الحج .

أما المجموعة الثانية : من مسلمي جنوب أفريقيا فتكلم لغاتها الوطنية الأصلية



إلى جانب اللغة الإنجليزية ، وأكثر هؤلاء من الهنود ، وأغلبهم يعيشون في ناتال ،  
ويبلغ عددهم نحو ٢٦ ألفاً .

المجموعة الثالثة : من قبائل البانتو الذين جاءوا من موزمبيق ( كلبماني ) وفي  
جوهانسبرج يعيش نحو ١٧٠ ألفاً يشتغلون في المناجم .

والمجموعة الرابعة : من قبائل الزولو في دربان ، ويوجد في مدينة الكاب نحو  
٢٣ مسجداً وثلاثة في مدغشقر ، ومسجدان في كمبرلي ، كما يوجد مسجد في كل  
من دربان ومارتيربرج<sup>(١)</sup> .

وعلى الرغم من بعد المسافات الشاسعة بين أفريقيا الجنوبية ، وبين الجزيرة  
العربية إلا أننا نجد أن الإسلام قد شق طريقه إلى أقصى الجنوب من القارة الأفريقية  
وأقصى الساحل الجنوبي الشرقي لأفريقيا<sup>(٢)</sup> .

### مدينة الكاب :

ففي السنين الطويلة التي تلت الرحلات البرتغالية التي بدأت في نهاية القرن  
الخامس عشر الميلادي نمت التجارة إلى الشرق حول القارة الأفريقية نمواً واسع  
النطاق ، واجتذبت هذه التجارة الأمم البحرية في الغرب ، ولا سيما هولندا وإنجلترا .

ومسلمو الكاب من سلالة أهل الملايو الذين جاء بهم الهولنديون في القرن  
السابع عشر ، أو الثامن عشر ومنهم الشيخ يوسف وهو معلم ديني ، كان ذا نفوذ  
عظيم في جاوة . . . . وقد ساقه الهولنديون منفيماً إلى مستعمرة الكاب هو واسرته ،  
وكثيراً من أتباعه ، ولا يزال ضريحه يعد مكاناً مقدساً يزوره المسلمون في هذه البلاد .

(١) المسلمون في العالم اليوم "أفريقيا الإسلامية" دكتور عبدالرحمن زكي.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٩.

ولقد أراد المستعمر أن يبدد هذه الجماعات المسلمة وذلك بالاندماج معهم بالتزواج، كما فعل الهولنديون أو عن طريق التبشير المسيحي إلا أن هذه الجهود التي بذها الدعاة المسلمون المتحمسون ، ولا سيما الهنود الذين يزورون مستعمرة الكاب بطريقة منتظمة ، والذين يهتمون بتعليمهم أصول الإسلام ، ويعثون في نفوسهم حياة دينية أعمق من الحياة التي كانوا يجونها .

ويعتبر عمال الهنود الذين يأتون للعمل في حقول الماس في أفريقيا ، دعاة للإسلام ، وقد أحرز هؤلاء الدعاة نجاحاً ملحوظاً بين الأهالي السود في مستعمرة الكاب ، حيث أسسوا في هذه البلاد مركزاً هاماً لنشر الدعوة الإسلامية<sup>(١)</sup> .

وزاد انتشار الإسلام في اتحاد جنوب أفريقيا الذي توجد به جالية إسلامية كما ذكرنا ، وذلك على أساس اعتناق نصف مليون نسمة للإسلام سنوياً ، وأن إذاعات القاهرة وكراشي ودعايات التجار المسلمين كلها ساعدت على انتشاره ، وقد اعتادت أجيال منهم أن تطأ قوافلها هذه البلاد ، وسائر الذين ينشرون الدعوة للإسلام ، ويلقنون الأهالي آيات الله البينات ، وأصبحت كلها تقضي على دعايات التبشير في أنحاء القارة ، وتقضي على أضاليل المبشرين<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر بعض الباحثين ، أن الذين تحولوا من الوثنية إلى الإسلام ، من بين الزوج والسود ، ومن أهالي الكاب ، كانوا أكبر عدداً من هؤلاء الذين تحولوا إلى المسيحية ، على الرغم من الجهود الجبارة التي يبذلها المبشرون ، ويعززون ذلك إلى النفوذ الذي أبداه السادة المسيحيون من تعمد عبيدهم خوفاً من الحقوق التي قد ينالها العبد الذي يُعتمد على أن هذا النفوذ قد أخذ يزول الآن ، بدليل ازدياد عدد الذين يتحولون إلى المسيحية . بيد أن هذا لا يقلل من الجهود التي يبذلها الدعاة المسلمون المتحمسون ، ولا سيما الهنود الذين يزورون مستعمرة الكاب بطريقة منتظمة ،

(١) حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الافريقية، ص ١٨٥ - ١٨٧ .

(٢) أحمد سويلم، الأفريقيون والعرب، ص ٦٦ .

والذين يهتمون بتعليمهم أصول الإسلام ، ويعثون في نفوسهم حياة دينية أعمق من الحياة التي كانوا يجيئونها<sup>(١)</sup> .

ومسلمو مستعمرة الكاب الذين هم من سلالة أهل الملايو - كما تقدم - يتكلمون لغة محرفة من لغة البوير ، مع خليط كبير من اللغة العربية ، وبعض كلمات إنجليزية ، وكلمات من لغة الملايو . ويذكر توماس أرنولد أن هناك كتاباً صغيراً ألف بهذه الطريقة ، وكتب بحروف عربية ، وأن هذا الكتاب نشر في القسطنطينية سنة ١٨٧٧ م ، ليستعمل في تعليم أصول الدين الإسلامي .

وقد أضاف توماس أرنولد أن الداعي المسلم استطاع أن يحول جمعاً أكبر بمجهود أقل من المبشر المسيحي<sup>(٢)</sup> .

ولعل ذلك راجع إلى تغلغل التفرقة العنصرية والتعصب الجنسي عند البيض في هذه البلاد، على حين يعامل المسلمون أهالي هذه البلاد وفق المبادئ الإسلامية ، التي تقوم على أساس الحرية والأخاء والمساواة ولا تقيم أي اعتبار للجنس أو اللون في النظام الاجتماعي .

ويتردد على مستعمرة الكاب كل عام جماعة من مسلمي البلاد الأخرى المتحمسين ، يعثون بين اخوانهم في الدين حياة دينية أعمق من تلك التي كانوا يجيئونها، ويقومون بالدعوة إلى الإسلام بين الأهالي السود ويشيرون اهتمامهم بالتعليم<sup>(٣)</sup> .

وفي سنة ١٨١٩م لفت كولبروك الأذهان إلى نمو الإسلام في بعض مذكرات

(١) حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص ١٨٦.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، ص ٧٧، وما بعدها.

(٣) حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص ٢٤٣.

مختصة كتبها عن مستعمرة الكاب حيث قال : " يقال أن الإسلام يتقدم بين العبيد والسود الأحرار من أهالي الكاب ، ونعني بذلك أن الذين تحولوا من الوثنية إلى الإسلام بين الزنوج والسود على اختلاف أنواعهم ، كانوا أكثر عدداً من الذين تحولوا من الوثنية إلى المسيحية " .

وفي خلال الخمسين سنة الأخيرة كان يزور المسلمين في مستعمرة الكاب جماعة من بلاد أخرى من إخوانهم في الدين المتحمسين " كما ذكرنا من قبل " وقد أثاروا الآن اهتمامهم بالتعليم أكثر مما مضى وبعثوا بينهم حياة دينية أعمق من تلك التي كانوا يحيونها ، ويقال أنهم يقومون بدعوة حماسية ، وخاصة بين الأهالي السود في الكاب ، وأنهم حصلوا على نجاح محقق، وأن حركة نشر تعاليم الدعوة هذه قوية في الجزء الغربي من مستعمرة الكاب خاصة . ويقال أن هناك حركة سائرة في طريق التنفيذ لتأسيس كلية في كليرمونت **Claremont** بجوار مدينة الكاب ، وأنها ستصبح مركزاً لنشر الدعوة الإسلامية . ومن الوسائل التي تستغل الآن تبني الأطفال الشاردين أو المهملين وتنشئتهم على دين الإسلام .